الشاعر الدكتور هادي الحمداني
الشاعر الناصري الذي غنى للحمامة السجية

د. صدام فهد الاسدي

لا ادري هل اكتب عن الشاعر الكبير هادي الحمداني خلاصة في صفحات؟ وأقول انتهيت ؟أو أطوف طواف عجلان بدون تمعن في شفافية وبكائية شاعر عاش في ظلال الروح المسجونة في قفص الحرمان وقدم قلبه قربانا على مذبح الصداقة،وبحث عن الحرية قائلا(ان مفهومي عن الحرية جارتا هل :ان تفعل شيئا لاتحاسب عليه))وخاطب الحمام السجي كما خاطبه قبله أبو فراس(أيا .(تشعرين بحالي

في مدينة الشطرة الرائعة بالادب والفكر وعمالقة القول في العراق،المدينة السابحة بالعطاء،المدينة التي مثلت الموقف الفكري والسياسي في العصر الحديث،ولد الحمداني فيها عام ١٩٣١م وتخرج في معهد المعلمين عام ١٩٥٦موكتب الشعر مبكراوكان ديوانه الاول(ديوان الحمداني))عام ١٩٦٥م باكورة العمل وانطلاقة الحس الشعري المهذب،وقد سبحت سيرته الذاتية في فضاءات متنوعة من صداقةوالقاء شعري مميز،فقد قرأ معي يوما في تربية الكوفة قصيدة اقولها بصراحة .ولااجامل فيها (ان القاعة بكت كلها عندما رثى الدكتور علي جواد الطاهر في قصيدة عصماء اكمل دراسته الماجستير والدكتوراه والاخيرة كانت في (روميات ابي فراس الحمداني)من جامعة مانجستر،وبعد عودته درس في جامعة بغداد وله مؤلف في الخط العربي عنوانه(مهارات الخط العربي)وله ثقافة متنوعة وقد ترجم سيرته الاستاذ الكبير عبد الحميد العلوجي في مؤلفه اعلام .العراق في القرن العشرين

وحمل الشاعر لوعات ولا اقول واحدة لضياع الفكر ابان الثمانينات وهو يحس بان اقدام النسيان سوف تسحق شعره ولكن لا والف لا،،، فالشاعر الناصري العراقي خالد في ذاكرة الشرفاء وحسبي اراه بريكان بغداد مادام للبصرة بريكانها الخاص بالصمت الذي حرك المعجزات،ويرى الشاعر : الحمداني إن الأيام وقحة وعصية لا ترجع ثانية

وحفرة بعد هذا العمر في التعب حفيرتان حياة كلها تعب
شيء من الحلم في لوح من الخشب ونحن فيها كما شاءت طبيعتها

ولذلك دق الكلمات بقلم جريء ونسج الحرية بصرخة ثائر لايخشى سوط الحاكم،وهذا الفيض الحساس وجدناه قناديل مشتعلة في شعره وهو يرسم الحياة بواقعيتها دون رتوش وزخرفة ويقول هذا ابيض وهذا اسود وهو يخفي في كلاسيكيته المعتمةابوة للحداثة التي استهلكت الاعصاب وخدرت المفردات بلا سبيل معروف وهنا سجل الحمداني واقعية الرفض وهو يغرز اصابع الشعراء في التراب ليقولوا شعرا لابعرا,

وكره النظر الى يوتبيا الحلم البعيد ،ورسم اشخاصه كالصلبان يحصرهم بين اقواسوهو يطلق صوته عاليا للصداقة النظيفةويرفض الزيف والنفاق والثعلبةوالتملق ،،وهو بريء لحين البسمة التي تحصدها من شفتيه وفيا وهو يبث الرموز ويبني الثوابت(هكذا الحياة عشناها سجالانمتلك فيها قلوبا صافية وحرية وتعبيراعندما كانت حياتنا بسيطة لامقاصد مادية تذبحها))ان الحمداني يسرب ذائقة شعرية جديدةفي جادة مشى عليها التيار الجديد ،،،واستثمر الاخوانيات لا لانها شعر مناسبات بل ليقول كلمته الفصل ناقدا ومؤشرا مزالق الخطأ ،،بعيدا عن المساجلات التي لبسها القرن المنصرم ١٩٠٠م في تناول التاريخ الشعري والوصف التقليدي مثلا فهو متعدد الاغراض(الوجدان الدافيء-الصداقة النبيلة-الذكريات المريرة-الامس المحترق-الشعر العمودي الضائع في قوالب العولمة)لو رأيتم الحمداني كيف يلقي القصيدة وماذا يعمل؟ يضرب على يديه ويبكي ويتوقف من البكاء ،،انه : شاعر منصة رائع حقا،ومن المحطات التي بكاها الناصرية

فقلب الى بغداد منه يميل اذا مال نحو الناصرية ركبه

: وهذه الشطرة تجلس على ربيع احلامه

ولازهت بالربيع الحلو شطراء لولاهم ما اتيت الربع اقصده

: والغراف لم تخرج من دائرة الذكرى

رحالا ليمضي القلب فيهن حاديا نحط على الغراف عصرا وليلة

: وهذه مويجات الغراف تسبح في قوافيه

فيه المويجات للعشاق صهباء عروسة الشعر والغراف مابرحت

: انها خمرته الروحية وهو يبتعد جدا جدا عن الخمرة الجسدية،ومن مرافئه الدافئة امه

اذا لم يكن للطفل من مائه ورد ذكرناك اما تورد الطفل عينها

: وهذا العراق حبيبه بعد الناصرية وربما قبلهاولكن أي عراق

لا الدار داري ولا الاهلون اهلونا انا الغريب وقد امسيت في بلدي

: وحينما فرشت الغربة خيمتها على عينيه وهو يفارق العراق قال

عنه نساءل زوارا وركبانا عن العراق اما قد جئت من خبر

: ولم تغب بابل عن ذاكرته

في بابها اسد لااسد تصرعه وبابل قبلة التاريخ نرسمها

: ومن رموزه المباشرة السيد المسيح المفكر الزمني الخالد

عبر السماء وضاءت منه اجواء الست انت الذي اسرى باحمده

: "ولم ينس الاصل اليعربي

كاني الى الاسلام قد جئت داعيا ومالي سكونا اماجدي يعرب

: وقد رثى الشاعر عبد القادر الناصري الذي مر البحث عنه

قصيدة من عيون الشعر غراء كيما يصوغ فكانت من سبائكه

: ولم ينس معلم الاجيال الخالد

قد نورت للعالمين دياجرا انت المعلم شعلة قدسية

: وللموروث مكان خصب في قصائده الكثيرةومنه الشاعر الفحل عنترة

وان كان لولا الليل ماطلع الفجر) وانكرت ليلى كافرا بوجوده

: وهذا تناص رائع واضح ،وفي قول اخر يتناص به مع الحمداني الاول

اذا ذكرت بغداد هجت تشوقا واذللت دمعا في خلائقه الكبر

: ونهل من جرير قوله

عنا مكانا باقصى الغرب موضعه قد كنت واسطة للعقد فانتبذت

: ونهل من ابن الجهم قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر تذكرت فيها ما اهاج بي الهوى

: ولم ينس المثل الشائع

فاول الغيث قطر ثم ينهمر لملم بقاياك ماهذي باخرها

: ومن التقابلات الرائعة في شعره

هذي النصوص لكم غناك طائرها عند الصباح وكم ابكتك ورقاء

: ويبدو التضاد واضحا وفي قوله

الا وكان لها لحن واصداء الا البلابل ماحطت على غصن

: وهنا يظهر التقابل المقعي بين البلبل والغصن وفي قوله

,وتقرع في الانغام منه طبول ومالك الا الشعر تشدو لحونه

: اما البلاغة تستقر في شعره وتاخذ ابعادها كقوله

تحت رجليك كومض الشهب وحواليه قلوب ترتمي

: ومن رد العجز على الصدر قوله

ولو شئت لم يعلق بهن ذبول وتذبل اوراقي بعز ربيعها

: ولم تخط عدسته الشعرية اللون في قوله

بردة قد نسجت من ذهب خفت الكون فالقى فوقه

: وللحمداني الشاعر جديد وهو المشاكلة التي تتعلق في البيت ومابعده كقوله

عبر السماءوضاءت منه اجواء الست انت الذي اسرى باحمده

وان يكون لها في الليل اسراء فلست اعجب ان تسري مواكبنا

: وقوله

فلم يدر أي الصاحبين خليل يصارعه امران اهل وصحبة

فقلت الى بغداد منه يميل اذا مال نحو الناصرية ركبه

اما المرأة فقد جاءت في شعره ولم يفصح ابدا عن اسم محدد فهذا ليس من خلقه ابدا ولكن اطلق (كنية (عزيزة

نسيت بها الاوطان وهي عزيزة وما كنت لولا ان نسيت بلاديا

لاشهد قد كانت الى الروح ظلة ودفئا وايمانا ولست مغاليا

اذا رزق الانسان صنوا لروحه فقد هان ان يلقى هناك الدواهيا

ولعل الشاعرقد وجد صنو روحه ولكنه لم يجد استقرار شعره وجمهوره القلق الذي لايفهم الكثير مما يقول،وهكذا اخصب الحقل الشعري للحمداني المبدع ولكن لم تخصب البذور التي زرعها بعد . ونحن بشوق لانتظار القطاف